



## محاضرة 1: الأمير عبد القادر الجزائري

الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين (1808-1883) من أبرز الشخصيات التاريخية في الجزائر والعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، إذ جمع بين القيادة السياسية والعسكرية، والعمق الفكري والروحي،

والموقف الإنساني النبيل، لم يكن مجرد قائد مقاومة، بل كان مشروع دولة ورجل فكر وتصوف، ترك أثراً عميقاً في التاريخ الجزائري والإنساني.

### 1. النشأة والتكوين:

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة الموافق للثالث والعشرين من شهر رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين للهجرة (1222هـ)، الموافق لشهر مايو (أيار) سنة سبعة وثمانمائة وألف للميلاد (1807م)<sup>1</sup> بقرية القيطنة قرب مدينة معسكر، و«قد حاز على كل أسباب الشرف والعزة، فنسبه الحسيني ينتهي إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وأجداده علماء أفاضل، بلغوا أسمى مراتب المجد والعز بين أهلهم وفي أوطانهم، فلا غرو إذن أن ينجح الأمير مسلحهم ليزيد عزهم عزا وشرفهم شرفا، وبه اكتملت حلقات العقد، وباسمه اشتهرت أسرته ولا تزال»<sup>2</sup>. نشأ في أسرة علمية صوفية عرفت بالعلم والورع، تلقى تعليمه

<sup>1</sup> - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تر: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف، ج2، ص523.

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م، ص 12.



الأول على يد والده الشيخ محيي الدين، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس علوم الفقه، والحديث، واللغة العربية، والفلسفة، والتصوف، أسهم هذا التكوين المتكامل في بناء شخصية متوازنة تجمع بين العقل والسلوك والأخلاق ولم يكن يميل إلى اللهو والترف على الرغم من الثراء الذي عاش فيه.

قام برحلة علمية إلى المشرق، زار خلالها مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد، والتقى بعلماء كبار، مما وسّع أفقه الفكري ورسخ لديه البعد الحضاري للإسلام.

## 2. قيادة المقاومة وبناء الدولة:

برز الأمير عبد القادر قائداً للمقاومة الشعبية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830؛ فبايعته القبائل أميراً سنة 1832م. لم تقتصر مقاومته على الجانب العسكري، بل سعى إلى بناء دولة حديثة قائمة على التنظيم والإدارة، فأنشأ جيشاً منظماً، ونظماً ضريبياً، وقضائياً، وعاصمة متنقلة، كما اهتم بالتعليم وبالعلاقات الدبلوماسية. ورد في مذكرات الأمير عبد القادر أنه « القائد المغوار الذي حارب الجيوش الفرنسية بحنكة وخبرة لا مثيل لهما، وهو السياسي المتمرس، والعالم الصوفي الفذ، والأديب المبدع، والأب العطوف الحنون، والعالم الذي يقصده طلاب المعرفة من كل فج قصي، والباذل التبر<sup>1</sup> والنفس الغالية من أجل حماية الروح البشرية أينما حل وأقام<sup>2</sup>».

<sup>1</sup>- التبر: في اللغة العربية الفصحى القديمة، يعني الذهب الخام أو الذهب غير المضروب (غير المسكوك كنفود)، أو فئات الذهب والسيانك قبل تحويله إلى مجوهرات أو عملة. (مثل "غبار الذهب" أو "الذهب الخام" في الاستخدام الحديث، لكنه في السياق الأدبي يرمز إلى الثروة النفيسة والغالية).

<sup>2</sup>- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني وآخران، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع



واجه الأمير الجيش الفرنسي في معارك عديدة، وأجبره على توقيع معاهدات، أبرزها معاهدة «التافنة الشهيرة في ربيع سنة 1837»<sup>1</sup> التي اعترفت بسلطته على جزء كبير من البلاد، غير أن فرنسا سرعان ما نقضت العهد، فاستؤنفت الحرب في ظروف عسكرية قاسية.

### 3. الأسر والموقف الأخلاقي:

بعد سنوات طويلة من الجهاد، اضطر الأمير عبد القادر إلى الاستسلام سنة 1847 حقناً لدماء الجزائريين، بعد أن خذلته بعض القوى الإقليمية، نُقل أسيراً إلى فرنسا، ثم أُفرج عنه لاحقاً، ليقم في دمشق.

في دمشق، تجلّت عظمة الأمير الأخلاقية والإنسانية، خاصة خلال أحداث الفتنة الطائفية سنة 1860م، حيث قام بحماية آلاف المسيحيين، وفتح لهم بيته، معرضاً نفسه وأبناءه للخطر، هذا الموقف الإنساني أكسبه احترام العالم، ومنحته عدة دول أوسمة تقدير.

### 4. تجربة الأمير عبد القادر الأدبية:

ما يميز تجربة الأمير الأدبية أنها مشروع فكري متكامل يجمع بين معارف متعددة، وهو ما يؤهل أدبه لبلوغ مرتبة مميزة في التراث العربي والجزائري. فهو أدب يحمل رسائل متنوعة تراعي السن واللغة والأخلاق والفكر والتفكير ويمثل نموذج المجاهد بروحه وبقلبه.

تعد تجربة الأمير عبد القادر في مجال الأدب امتداداً طبيعياً لفكره ورؤيته الروحية ولا يمكن بأي حال أن تُفصل هذه التجربة عن مسيرته في الجهاد، وتتم نصوص الأمير

<sup>1</sup> - أدريان بيربروجير، مع الأمير عبد القادر (رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838))، تر: أبو القاسم سعد الله، (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م)، ص5. العنوان الأصلي لهذا الكتاب:

Voyage au camp d'Abd-el-Kader (à Hamza...en Décembre 1837 et Janvier 1838), Paris 1839.



بجمعها بين الحرب والقلم أي بين الشجاعة والسيف وبين العلم والكتابة، وكان عمله مصبوغاً بأعماله التاريخية فكان إنتاجه الأدبي انعكاساً لشخصية موسوعية تغذت على العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية. وكان مفكراً وصوفياً عميق الرؤية كتب في الفلسفة والتصوف نصوصاً عديدة.

#### 1.4. تجربة الأمير عبد القادر في النشر:

أبدع الأمير عبد القادر في كتابة نصوصه النثرية واستكشف من خلالها قضايا متنوعة تعبر عن هموم أمته ومآسيها، وكتب عن مواضيع تتعلق بال عقيدة والتصوف والأخلاق، ولم يغفل الكتابة عن علاقة الإنسان بالكون، وغالبا ما تحمل نصوصه توجهها واضحا نحو التحليلات المنطقية الممزوجة بالإلهام وبالروحانيات وهو ما يمنح نصوصه قيمة عالية ومصداقية في الطرح. إن ما تحمله نصوصه من مبادئ أخلاقية تتعلق بالتسامح الديني والحوار الإنساني يعكس وعيه الكبير بالآخر دون تفريق.

تعد التجربة النثرية عند الأمير عبد القادر الجزائري امتداداً عميقاً لتكوينه الروحي والمعرفي، وتتجلى أبرز ملامحها في كتابه الشهير "المواقف الروحية والفيوضات السبوحية"، الذي يعكس فكره الروحي القائم على التسامح، وحوار الحضارات، واحترام الإنسان أيّاً كان دينه أو عرقه. وهو كتاب مهم لما له من تأثير قوي عند جمهور القراء، يجمع بين التفسير الصوفي للقرآن والتأملات الوجدانية والإشارات العرفانية، مستلهماً من تراث ابن عربي والغزالي وغيرهما، مع لغة رصينة تجمع بين الجزالة الكلاسيكية والعمق.

تظهر ملامح تصوفه في لغته الغنية بالرموز وتأملاته العميقة في الوجود الإنساني ولم تكن الكتابة عنده مجرد رصف للحروف وإنما رؤى بلاغية وفلسفية وأخلاقية تعبر عن المجتمع



وظروفه، مستمدة من التراث العربي الكلاسيكي، وكانت له نظرة ثاقبة وواسعة استوعبت العلاقة بين التراث وتجاربه الشخصية.

له مؤلفات أخرى مثل "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" و"المقراض الحاد"، حيث يطرح فيها قضايا متنوعة منها: قضايا الأخلاق والتصوف الزهدي والتوجيه الروحي بلغة مباشرة نسيباً، هدفها الإرشاد والتذكير، باستخدام لغة الرمز والإشارة للتعبير عن التجارب الروحية الدقيقة التي لا يفني بها اللفظ الصريح.

يتميز نثره عموماً بالتوازن بين البرهان العقلي والإشراق الروحي، والانفتاح على أسئلة الوجود والعلاقة بالآخر، كما في رسائله وكتابه السياسية والأخلاقية؛ فهو لا يقتصر على الزخرفة البلاغية، وإنما يبني رؤية متكاملة تجمع الجهاد الخارجي بالجهاد الأكبر، مما يجعل نثره تعبيراً صادقاً عن شخصية موسوعية لها خبرتها وتجاربها في عدة مجالات في الحياة وفي الأدب.

#### 2.4. تجربة الأمير عبد القادر في الشعر:

كانت تجربته الشعرية قديمة منذ أن كان صغيراً، ولعل رحلات الصيد التي كان يقوم بها وتجوله في الطبيعة غرس في نفسه عاطفة جياشة لم تكن لتخرج إلا عبر كلمات موزونة موسيقية، في «هذا السن، بدأت ملكة الشعر تظهر لدى عبد القادر للعيان، حيث بدأ يقرض الشعر ولما يبلغ العشرين من عمره بعد»<sup>1</sup>، على الرغم من أنه «لم يسبق له تعلم موازين الشعر ومقاييسه، ولا سبق له أن تلقى أصوله ومبادئه على أستاذ خبير في فن الشعر وأصوله»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، ص15.  
<sup>2</sup> - يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2؛ دمشق: مطابع دار الفكر، 1964م، ص150.



يتميز شعر الأمير عبد القادر بالبعد عن الغرق في الزخرفة وأكثر ما يهتم له هو التعبير عن المواضيع العاطفية الوجدانية التي تحمل دلالات عميقة من الناحية الوظيفية، وتوضح فيها جمالية قوية لتقاليد الشعر العربي مع ملاحظة أن الشعر لديه أقل حضوراً من النثر.

إنّ من أهم الأسباب التي دفعت الأمير عبد القادر ليخوض تجربة الكتابة الشعرية هو تعرض الجزائر إلى غزو المستعمر الفرنسي؛ فوجد في الأدب متنفساً لروحه وحروفه حتى يباري بالأدب عقول هؤلاء، وساعده جمال الطبيعة وحبها بوصفه بدويًا بطبعه على اتخاذ الشعر أداة لوصفها والتعبير عن أحاسيسه اتجاهها؛ فكان يفتخر لانتمائه لها وتفوقه على عدوه بنسبه وعلمه وحبه لوطنه. وعلى الرغم من تعثر شعره بين المعاني والعبارات التي يؤديها والأوزان التي لا بد من التزامها حسب طه الحاجري «إلا أن عبد القادر لم يتح له - في سني دراسته- أن يوثق صلته بروائع الشعر العربي في عصوره الذهبية، ولم يبلغ من هذا المبلغ الذي يثقل شاعريته ويطوع أدواته الفنية»<sup>1</sup>. و«استطاع أن يجسد آمال شعبه في شعره من بطولة وإقدام، وسخر شعره للدعوة لقضية بلاده وهو بعيد عنها، كما استطاع أن يلج كل الفنون الشعرية المعروفة في عهده، فافتخر ومدح ووصف وتغزل، وأولى مذهبه الصوفي جانباً هاماً من أشعاره»<sup>2</sup>

### - الفخر عند الأمير عبد القادر:

يبرز شعر الأمير في غرض الفخر كأحد أبرز ما أبدعته شاعريته، إذ يعكس شخصية الأمير نفسه في أبهى صورها، فهو ليس مجرد تعبير أدبي، بل انعكاس لعزيمة لا تلين ونضال ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم. و«لعل أفضل ما جادت به شاعرية عبد القادر هو ذلك الذي تناول فيه موضوعات الفخر والحماسة لأنهما أشبه به، وأجدر بشخصه، فشعره

<sup>1</sup>- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 181.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 69.



في الفخر»<sup>1</sup> وشعره في الفخر «يذكرك بعنزة بن شداد، ولعل أميرنا أولى من ابن زبيبة في ذكر البطولة والفداء لأن عنزة كانت بطولته الغزو والكسب، وأميرنا قد وقف عزمه كله على نضال المستعمر الغاضب فستان بين المقصدين، ويا بعد ما بين الهدفين، فالأمير عبد القادر حين يفتخر يتحدث عن هواجس وأفكار لا تصنع فيها ولا تكلف، فالفخر منه وإليه وهو أولى به، فالبطولة جزء من شخصيته، لذلك كان شعره صادقاً كل الصدق صحيحاً كل الصحة»<sup>2</sup>

انصب الفخر عند الأمير عبد القادر في نقطتين هما: «الفخر الفطري الطبيعي، ثم فخر مكتسب إرادى حازه الأمير وناله بمواقفه البطولية وأخلاقه الحميد»<sup>3</sup>.

- يتجلى الفخر الطبيعي في أصله الشريف الذي يعود إلى آل البيت عليهم السلام، الذي أشار إليه في شعره:

أبونا رسول الله خير الورى طراً \*\*\* فمن فى الورى يبغى يطاولنا قدراً

وحسبى بهذا الفخر من كل منصب \*\*\* ومن رتبة تسمو وبيضاء أو صفرا

بعليائنا يعلو الفخار وإن يكن \*\*\* به قد سما قوم وناولنا به نصرا<sup>4</sup>

- يتجلى الفخر الذي اكتسبه في بطولاته ومواقفه الشجاعة وتعاملاته وحكمته في التعامل مع الشدائد والمصائب كانت مبادئه في الحياة تحقيق العدالة وإحقاق الحق وإعانة المحتاج وغاياته كلها كانت نبيلة

ركبنا للمكارم كل هول \*\*\* وخضنا أبجرا ولها زجال<sup>1</sup>

1- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص70.

2- أحمد الجندي، الأمير الشاعر، الجزائر: مجلة الثقافة، عدد خاص، 1983م، ص320.

3- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص70.

4- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة أبونا رسول الله، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ص14



ما يميز عبد القادر الشاعر أنه كان قائداً حقيقياً للمعارك وملكته الأدبية كانت أداة ثمينة ساعدته على وصف معاركه وإحساسه أثناءها؛ فنقل إلى القارئ ما عاشه بكل التفاصيل الحسية والمادية وبقي تاريخاً يشهد عليه ويشهد له؛ ف «عبد القادر في نخره ينقلك إلى واقع حقيقي فهو لم يتخيل معاركه وحروبه تخيلاً كما يصورها بعض الشعراء، وإنما يصف كل ما رآه وما عاناه وصف خبير، فقد قضى أيامه، وأفنى زهرة شبابه بين قعقة السلاح وصهيل الخيل وغبار المعارك مع أهله وجنده الأشاوش، تلمس في نخره أثر عنبرة والمتنبي»<sup>2</sup>.

### - الغزل:

في الوقت الذي كان الشعراء من حول الأمير قضاة شريعة أو دعاة للإصلاح وكانوا يتجنبون الحديث في الغزل لانتفاء نظرة المجتمع لهم، فقد «انفرد عبد القادر دون كثير من شعراء عصره ولاسيما الجزائريين منهم بالإقدام الشجاع على الغزل»<sup>3</sup>. وهو ما يؤكد أن الشجاعة هي مبدأ في حياته في كل الأمور.

لم يغفل الأمير في خضم كل المعارك التي كان يخوضها مكانة المرأة عنده وفي المجتمع؛ فهو يراها أساس المجتمع مهما كانت صفتها سواء أما كانت أم أختا أم ابنة أم حبيبة، «المرأة نصف الرجل وتتمام عيشه وحياته وهنائه، فهي مبعث الرضا والغضب والأمل والألم والشفاء والرخاء.. فتارة يغني لها وتارة يتحدث عنها، ولها حديث القلب ونجوى الخفايا، وطورا يتوسل إليها بوسائل أخرى مراعيًا في ذلك ظروف الأرض والاقليم والزمان والثقافة ومتطلبات الأحوال»<sup>4</sup> وفي الديوان يتحدث المحقق أن سر تعلق الأمير

1- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة افتخر الزمان، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص15.

2- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص75.

3- محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأثرها في أدبه، القاهرة: مكتبة الملك فيصل الإسلامية، 1984م، ص161.

4- أنظر: بكرى شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط2؛ بيروت: دار الأفق الجديدة، 1980م، ص 116-115.



بالمرأة يعود إلى تعلقه بوالدته حتى أنه امتنع عن الحج خشية أن تتوفى في غيابه وقد كان يكن لها الاحترام كله.

ومن بين الدوافع التي جعلته يتغزل بالمرأة هو الجمال الذي كان يأسره بداية من الطبيعة وعلى الرغم من صرامته وشخصيته الحربية فقد كان يخفي في نفسه جانبا غضا يميل إلى الغزل دون إسفاف في القول أو قبح في الكلام أو خروج عن تربيته الدينية، خاصة وأن ميوله الصوفية زكت نفسه ونمت فيها الجانب الروحي وجعلتها تسمو عن الرذائل. والمتأمل في قصائده سيلاحظ نبرة الحزن التي تصبغ قصائده الغزلية سواء في عناوينها أم مضامينها "مسلوب الرقاد" و "دموع ونار" و "منوا بلقياكم" و "يتيه بدله عمراً" و "بنت العم" و "جودي بطيف" و "فراقك نار" و "أرضى بطيف خيال".

أود بأن أرى ظبي الصحاري \*\*\* وأرقب طيفه، والليل سار

وأطلب قربه؛ فيزيد بعداً \*\*\* قديماً، من وصال؛ في نفار<sup>1</sup>

وهنا يلح إلى جمال المرأة أو الحبيبة ويشبها بالظبي ويعبر عن شوقه وطول انتظاره لها بالليل المظلم الطويل مستمداً من التراث الشعري العربي في تصوير الغرام كصيد مستحيل. ويعكس التناقض بين "الطلب" و"الزيادة في البعد"، مع "النفار القديم"، صراعاً نفسياً يجمع بين الوصال المنشود والفراق المحتوم، بلغة جزلة تذكر بأسلوب الشعراء الكلاسيكيين كالمثني.

أقاسي الحب؛ من قاسي الفؤاد \*\*\* وأرعاه؛ ولا يرعى ودادي

أريد حياتها، وتريد قتلي \*\*\* بهجرٍ، أو بصدٍ، أو بعاد<sup>2</sup>

1- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "يتيه بدله عمراً" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص40.  
2- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "بنت العم" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص41.



وفي هذين البيتين يعبر عن طول أمله ونواياه الجميلة نحو محبوبته في حين أنها ترد عليه بالجفاء والهجر مهمة حبه لها.

- الوصف:

يركز شعر الأمير على عنصرين أساسيين في الوصف، وهما:

أ- الوصف البدوي:

يرى الأمير أن حياة البدو فيها الكثير من المزايا وقد انتصر لهم في قصائده، ويعذر أهل الحضر لأنهم لم يجربوا العيش فيها. و"من ذاق عرف"، من الذي يرى الصحراء فيقاوم جمالها؟ «يقف المرء على ربوة من ربي الصحراء، فتتجسد أمامه اللوحات الفنية التي لا تجد لها مثيلاً، فهذه أسراب الطباء والغزلان والمها خرجت خرجت لترعى أطيب الشجر وهي تقفز هنا وهناك فرحة منتشية بهذا المزن الذي أحيا الأرض بعد موتها فأثبتت من كل زوج بهيج، لتبعث الحياة من جديد في هذه الصحراء»<sup>1</sup>

يا عاذراً لامرئ قد هام الحضر \*\*\* وعاذلاً لمح البدو والقفر

لا تذمن بيوتاً خف محلها \*\*\* وتمدحن بيوت الطين والحجر<sup>2</sup>

ويصف الحيوانات كالإبل والظباء التي تعيش في البدو وحياة الحل والترحال دون أن يغفل تصوير جمال الصبايا وهن ينظرن من ثقوب الستائر. ويصف القوافل المحاطة بالرجال الأقوياء لحمايتها. ويصف قطعان الماشية وهي قافلة من مراعيها وكيف تملأ المكان بالثغاء والنحوار ووقع حوافرها.

<sup>1</sup>- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 113.

<sup>2</sup>- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "مافي البداوة من عيب" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص 22.



## ب- الوصف الحضري:

بعد أن استقر الأمير في دمشق وترك حياة البدو، وصف حياة الحضري في قصائده وامتاز وصفه بميزتين وهما: «الوصف النسخي الحسي التقريري والتشخيصي الوجداني»<sup>1</sup>. ويعني الأول وصف الأشياء كما تراها العين في الواقع، وكأنه تصوير فوتوغرافي ينقله بأدق تفاصيله. وأما الثاني فيعني أن يربط الشاعر الأشياء المادية بمشاعره فينقل المشهد بناء على حالته الشعورية.

## - المدح:

خصص الأمير للمدح جانباً كبيراً في شعره واستبعد الهجاء من قاموسه الشعري لما يتطلبه من ألفاظ نابية وشم وقذف وما إلى ذلك وهذه ليست من أخلاق الأمير عبد القادر الذي يتميز بالخلق الرفيع، وعلى الرغم من أن المدح هو ذكر الآخر بما يجب إلا أن الأمير كان يعتمد على الصدق ولا يبالغ في تميم الكلام حتى لا يقع في التزلف، ومن أنواع المدح لديه:

## - المدح الصوفي:

وقد افتتح عهده بهذا النوع عندما ترافق مع الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني - وهو أحد أقطاب الصوفية - في وحدته في منفاه بأمبواز. فقال:

أهلاً وسهلاً بالحبيب القادم \*\*\* هذا النهار لدي خير مواسم

جاء السرور مصاحباً لقدمه \*\*\* وانزاح ماقد كان قبل ملازمي<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص257.

<sup>2</sup> - ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة " أهلاً بالحبيب" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص58.



وقد مدح شيخه بأحسن الكلام وأرفعه، وعدد مناقبه من شجاعة ورحمة وكرم وعفو وبشاشة وطلاقة محياه وتواضعه ولم يغفل شكله فمدح أسنانه وجمال الوجه..

### - المدح السياسي:

وجه مدحه إلى السلطان عبد الحميد الأول دون غيره، و«وقف عبد القادر يمدح بني عثمان بتركية وهم سلاطين الخلافة، ولكن بتعبير أدق لم يكن شعره مدحا لهم وإنما بتعبير نبوي مأثور يدعو لهم دعاء صالحا ويرجو لهم اليوم رجاءه النصر لنفسه بالأمس، وبعد ما لقيه من هم وطول انتظار حتى ظن أنه لن يطلق سراحه جاءه الفرج وأصبح حراً طليقاً هائئاً سعيداً كحمام مكة في أمنه، لا يمسه الأذى ولا يقاربه الخطر، وقد مدح السلاطين والمجاهدين أيضاً.<sup>1</sup>

الحمد لله؛ تعظيماً وإجلالاً \*\*\* ما أقبل اليسر، بعد العسر، إقبالاً

وما أتت، نفحات المسك، ناسخة \*\*\* من المكاره، أنواعاً، وأشكالاً

وأشكر الله؛ إذ لم ينصرم أجلي حتى وُصِلت، بأهل الدين، إيصالاً<sup>2</sup>

### - المدح الأدبي:

كانت قصائده في المدح الأدبي أقرب إلى المساجلات الأدبية، منها إلى فن المدح لأن الشاعر كان يتبادل هذه القصائد الشعرية مع ممدوحيه في المناسبات المختلفة، على سبيل التهئة والتكريم والاحترام بغية زيادة أواصر المحبة والأخوة وإدخال السرور على القلوب. تركزت مناقب ممدوحي الشاعر على جملة من الفضائل الفطرية والمكتسبة كالنسب الشريف والعلم والشجاعة والأخلاق الحميدة واجمع بين السيف والقلم. وهو في مدحه يراعي مكانة

<sup>1</sup>- أنظر: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص135.

<sup>2</sup>- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "أمن من حمام مكة" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص105.



المدوح فالمقام يفرض سبيلا يتلاءم مع صفات المدوح، وهو الأدرى بإيفاء كل جانب حقهما يليق به من كلام حسن ودعاء صالح.<sup>1</sup>

يرد الأمير التحية بأحسن منها وهو ما يدل على بلاغته وفصاحته

أحلى المديح مديح خل فاخر \*\*\* أقواله تنبي كدر باهر

عما أجن من الوداد جنانه \*\*\* ألفاظه تترى كشد فاطر<sup>2</sup>

كان الأمير عبد القادر نموذجاً فريداً في التاريخ العربي والإسلامي، قائداً مقاوماً، ورجل دولة، ومفكراً إنسانياً؛ لقد تجاوزت سيرته حدود الزمان والمكان، لتصبح رمزاً للكرامة، والحرية، والتسامح، كان الأمير يؤمن بأن جوهر الدين هو الأخلاق، وأن الاختلاف بين البشر سنة كونية، لا مبرر فيها للإقصاء أو العنف الأعمى. واستحضار سيرته إلى الآن ليس مجرد استذكار للماضي، بل دعوة لاستخلاص القيم التي نحتاجها في حاضرنا ومستقبلنا سواء كطلبة أم كإساتذة أم كقراء أيا كان مستوانا.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد الجندي، الأمير الشاعر، الجزائر: مجلة الثقافة، عدد خاص، 1983م.
2. أدريان بيرروجير، مع الأمير عبد القادر (رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838))، تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2005م.
3. بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط2؛ بيروت: دار الأفق الجديدة، 1980م.
4. عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.

<sup>1</sup>- أنظر: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 146-148.

<sup>2</sup>- ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "أنا مخلص للود شاكراً" ديوان الأمير عبد القادر، ص78.



5. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 م.
6. محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأثرها في أدبه، القاهرة: مكتبة الملك فيصل الإسلامية، 1984 م.
7. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ت: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف، ج2.
8. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "بنت العم" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
9. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "أهلاً بالحبيب" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
10. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "آمن من حمام مكة" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
11. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "أنا مخلص للود شاكر" ديوان الأمير عبد القادر.
12. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "بنت العم" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
13. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "مافي البداوة من عيب" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
14. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة "يتيه بدله عمراً" ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان.
15. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة أبونا رسول الله، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
16. ممدوح حقي (المحقق)، قصيدة افتخر الزمان، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
17. يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2؛ دمشق: مطابع دار الفكر، 1964 م.